(١٣) (والرؤية حقٌ لأهل الجنة)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

فقال: (**والرؤية حقٌ لأهل الجنة**) أشار إلى أحد موضعي رؤية الباري يوم القيامة وهو ما يقع في الجنة بدلالة الآيات السابقة، فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة قطعاً وقيل أن أعظمهم نعيماً هو من يرى ربه في اليوم مرتين ودلت أحاديث أخر على أن أهل الجنة يخرجون في يومٍ يقابل يوم الجمعة في الدنيا يقال له يوم المزيد فتنصب لهم المنابر من اللؤلؤ وكثبان المسك وبينما هم كذلك في صنوف النعيم إذ أشرق عليهم ربهم من فوقهم فرأوه من فوقهم سبحانه وبحمده فازدادوا حسناً وبهاءً حتى إنهم إذا رجعوا إلى أهليهم في منازلهم يقولوا لهم أهلوهم لقد ازددتم بعدنا حسناً وبهاءً وما ذاك إلا بأثر تلك النظرة إلى رب العالمين نسأل الله أن يبلغنا وإياكم ذلك.

ولهذا أنشد ابن القيم في هذا المعنى قوله:

فيا نظرةً أهدت إلى الوجه نضرةً أمن بعدها يسلوا المحب المتيمُ

إذاً: هذا موضع، أما الموضع الثاني الذي جاءت به الأدلة وثبت فهو رؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة والمقصود بعرصات القيامة العرصات جمع عرصة وهي مواقف الحساب، فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي سعيد وحديث أبي هريرة أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات القيامة يرونه على الصورة التي يعرفون أنه ربهم سبحانه وبحمده، فهذا مما ثبت بالأدلة الصحيحة قال كما نطق به كتاب ربنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة: ٢٢، ٢٣] قوله وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه مراده بالتفسير الكيفية فالكيفية هنا نفوضها إلى الله عز وجل وقوله وتفسيره يعني وكيفيته التي هي عليها في الواقع على ما أراده الله تعالى وعلمه إذ أن هذا تقصر عنه علومنا الآن إذ لا يمكن لأحد أن يرى ربه في الدنيا وقد جاء في الحديث الصحيح لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وأنه يدعي الألوهية قال: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) وفي هذا رد على مدعي الكرامات من غلاة الصوفية وغيرهم الذين يزعمون أنهم رأوا الله في الدنيا وأبصروه فيقال لهم وقد قال نبينا إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.

أما رؤيته سبحانه وتعالى في المنام فهذا أمرٌ ممكن لكن الذي يرى في المنام نوعٌ من الأمثال وليس الحقيقة ويرى الإنسان صورةً تناسب إيمانه وقد ثبت حديث اختصام الملأ الأعلى في السنن وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(رأيت ربي في أحسن صورة)، فلما كان إيمانه أكمل إيمان رأى ربه في أحسن صورة، تأمل أفعل التفضيل في قوله أحسن صورة؛ لأن إيمانه أكمل من غيره ومن كان إيمانه دون ذلك رأى ما يناسب إيمانه، فهذا من

هذه المادة لم تراجع على الشيخ ـ حفظه الله ـ [1]

حيث الإمكان ممكن الرؤية بالمنام يرى شيئاً حسناً بقدر ما في قلبه من إيمان، فربما وقع هذا لبعض المؤمنين ولكن الرؤية في الدنيا ممتنعة والدليل على امتناعها أن نبياً من أنبياء الله أولي العزم من الرسل طلب الرؤية فما أجيب موسى عليه السلام قال سبحانه وتعالى حاكياً عنه: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف: ١٤٣] ، فدل ذلك على امتناع الرؤية في الدنيا إذ لو كان أحدٌ يمكن أن يرى ربه لرءاه موسى عليه السلام كليم الرحمن الذي طلب رؤية الله لكن الله تعالى أعلمه بأن هذا غير متاحٍ في الدنيا.

واعلموا أن أهل السنة قاطبة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى وإنما أنكر الرؤية المعتزلة ومن وافقهم من الروافض والخوارج أنكروا الرؤية واستدلوا بأدلة أثرية وأدلةٍ نظرية، أما أدلتهم الأثرية فدليلان أحدهما قول الله تعالى -(لَنْ تَرَانِي)- [الأعراف/١٤٣] ، قالوا هاهو الله تعالى قد قال لموسى لن تراني فهذا يدل على امتناع الرؤية والجواب عن هذا سهل وهو أن نقول إن الله تعالى نفى الرؤية في الدنيا وحسب ولن عند العرب لا يلزم أن تفيد النفي المؤبد، قد تنفي النفي المؤبد إذا قال الإنسان لن أشرب الخمر مثلاً لكنها لا يلزم منها قد تكون في شيء مؤقت كأن تقول مثلاً لن أذهب لفلان وتريد اليوم أو اليوم وغداً وتذهب إليه بعد ذلك، ولذلك قال الإمام مالك:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

ويقال إن لن إذا أريد بها التأبيد قرنت بأبدا كما قال الله تعالى: -(وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا)- [البقرة/٩٥] ، ولو لم يقل: (أبداً) لكان في ذلك إحتمال أن يتمنوه في وقتٍ من الأوقات فدل ذلك على أن لن تدل على التأبيد إلا إذا اعتضدت بإلحاق لفظ التأبيد معها.

إذاً: هذا جواب عن استدلالهم الأول بقول الله تعالى لموسى: -(لَنْ تَرَانِي)- [الأعراف/١٤٣] ، ومما يدل على أن هذا الأمر ممكن أنه ما كان لنبي بمنزلة موسى عليه السلام كليم الرحمن أحد أولي العزم من الرسل أن يطلب أمراً ممتنعاً لذاته ماكان يمكن أن يخطر هذا عن نبيٍ مكلف أولي العزم من الرسل أن يطلب أمراً ممتنعاً لذاته، لو كان هذا الأمر ممتنعاً لذاته ما طلبه موسى وهو العارف بالله سبحانه وتعالى، ولو وقع منه ذلك وهو ممتنعٌ لذاته لعاتبه الله تعالى كما عتب على نوح عليه السلام حينما قال لربه: { إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ } [هود: ٤٥]فعاتبه ربه فقال: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: ٤٦]، أرأيتم لما كان الطلب طلباً فاسداً في أصله عجب الله تعالى عليه ووعظه قال { إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: ٤٦] فلو كان سؤال موسى لأمرٍ ممتنع في ذاته فاسد في أصله لعجب الله تعالى عليه لكن الله تعالى لم يعجب عليه وقال لن تراني وحسب ثم إنه أحاله على أمرٍ ممكن وقال : {وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى

الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} [الأعراف: ١٤٣]، مع أن الله تعالى قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقراً فلما أحاله على أمرٍ ممكن دل على الإمكان ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعل ذلك في هذه الحياة الدنيا وذلك والله أعلم أن قوى البشر لا تطيق النظر إلى الله تعالى في هذه الحياة الدنيا وأما في الآخرة فإن الله يعطيه من القوة ما يتمكنون به من الرؤية ويصمدون لها أما في الدنيا فإنهم لا يطيقون ذلك.

ومما استدل به منكر الرؤية من الأدلة الأثرية قول الله عز وجل: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ } [الأنعام: ١٠٣] ، فقالوا هذا دليلٌ على أن الله لا يمكن أن يرى؛ لأن الأبصار هي وسيلة المعاينة وقد نفى الله ذلك وقال: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ } [الأنعام: ١٠٣]، ولأهل السنة عن هذا الاستدلال جوابان، الجواب الأول ما ذهبت إليه عائشة رضي الله عنها وغيرها من أن المقصود بقوله {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] ، أي في الدنيا، والجواب الثاني قولهم إن نفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية لأن الإدراك إحاطة أما الرؤية فلا يلزم منها إحاطة.

أليس أحدنا يرى القمر ولا يدركه؟ أليس أحدنا يرى الجبل ولا يدركه؟

أنت ترى القمر صفحةً مضيئة لكنك لا تدركه في تفاصيله وتضاعيفه، ترى الجبل كمثلث مخروطي تراه لكن لا تدرك ما فيه من الشجر والحجر، والدواب والهوام ولا تدرك جهته المقابلة، فلا يلزم من مجرد النظر الإدراك وبالتالي فلا تعارض ولا دليل في نفي الإدراك على نفي الرؤية.

وقد أودع الله تعالى في كتابه هذا المعنى في موضع لا صلة له بالموضوع الصفات وهو قول الله تعالى في قصة موسى وفرعون قال الله تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا} [الشعراء: ٦١، ٦٢] ، أرأيتم حصلت رؤية أم لم تحصل؟ حصلت، حصل إدراك أم لم يحصل إدراك؟ لم يحصل إدراك، تأملوا في الآية يقول الله تعالى: -(فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ)- [الشعراء٦١/] يعني قوم فرعون وقوم موسى حصلت الرؤية {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا} [الشعراء: ٦١، ٦٢] وفعلاً لم يقع إدراك.

إذاً: يمكن أن تقع رؤية دون أن يقع إدراك، إذاً هذه الردود تبطل ما ذهب إليه هؤلاء النفاة نفاة الرؤية من المعتزلة والرافضة والخوارج من نفي رؤية الباري.

وأما استدلالهم بالعقل فإنهم يقولون في توجيه أدلتهم يقولون: إنه يلزم من الرؤية أن يكون جسماً وأن يكون متحيزاً وهذه الدعاوى نحن حديث عهدٍ بها فقد قررنا ليلة البارحة أن الألفاظ المجملة التي لم ترد في كتابٍ ولا سنة نحتاج فيها إلى الاستفصال فنقول ما مرادكم بذلك فلفظ الجسم ولفظ التحيز أو الحيز من الألفاظ المجملة نقول لهم أنتم الآن تريدون أن تلزمونا بلازم هذا اللازم لم يرد في الكتاب والسنة لا نفيه ولا إثباته فلا ننساق لكم ونسلمكم

قيادنا ونواثقكم، ماذا أردتم بقولكم جسم وحيز؟

إن أردتم بقولكم أو بنفيكم الجسم أو إلزامكم بأن يكون الله جسماً إذا ثبتت الرؤية، إن أردتم بذلك أن الله تعالى له ذات لا تشبه الذوات تقوم بها صفاته من السمع والبصر والعلم والإرادة وله عينان وله وجهٌ كريم وله يدان مبسوطتان بالعطاء والنعم فحيا هلاً نحن نثبت ذلك وإن سميتموه جسم نحن لا نعبر بهذا اللفظ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة لكن نثبت هذا المعنى ولا غضاضة بل هذا هو الذي أمرنا الله تعالى به، فإذا كان قولكم يلزمكم بإثبات الرؤية إثبات هذا المعنى فنحن نلتزم به ولا ندفعه بل نقره وليس في ذلك أدنى محذور بل هو عين المطلوب.

وإن قالوا إن المراد بالجسم أنه مركبٌ من أبعاض وأجزاء يفتقر بعضها إلى بعض ويحتاج بعضها إلى بعض فقلنا هذا جسم المخلوق، ولا يلزم من إثبات الرؤية لله عز وجل أن يكون الله تعالى هكذا، هذا خيالكم الفاسد هو الذي أوجب لكم هذه التهيئات، فنحن نثبت لربنا سبحانه وتعالى ذاتاً لا تشبه الذوات تقوم بها صفات وهذه الذات هي التي نثبت رؤيتها في عرصات القيامة وفي الجنة.

وأما قولكم بالتحيز فماذا تريدون بالحيز؟

إن أردتم بقولكم التحيز يعني أنه تحيط به أحيازٌ أخرى فهذا ليس بلازم والله سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء من مخلوقاته، لا يمكن أن يحيط به شيء من مخلوقاته، وإن أردتم بالتحيز أن الله سبحانه وتعالى بائنٌ من خلقه منفصلٌ عنهم متميز ليس فيه شيء من خلقه ولا في خلقه شيء منه فنحن نلتزم بذلك وإن سميتموه تحيزاً نحن لا نوافقكم على التسمية ولا على اللفظ لكن معنى هذا محل قبولنا واعتقادنا أن الله سبحانه وتعالى له ذاتٌ منفصلةٌ عن عباده لا يختلط فيها شيء من مخلوقاته لا يحل فيهم ولا يحلون فيه بل هو فوق سمواته مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، هذا جزء دعواهم.

أيضاً مما ادعوه عقلاً قالوا يلزمكم من إثبات الرؤية أن يكون في جهة نفس الشيء نقول لفظ الجهة من الألفاظ المجملة ماذا تريدون بقولكم في جهة؟

إن أردتم أنه يلزم أن يكون الله تعالى في جهة العلو فهذا عين ما نعتقده، ونقوله بملئ أفواهنا إن ربنا سبحانه فوق جميع مخلوقاته وأنه يراه عباده من جهة العلو سبحانه وبحمده، ولهذا يطلع عليهم ويشرف عليهم سبحانه فهم يرون ربهم من فوقهم ونلتزم بهذا اللازم.

وإن زعمتم أن الجهة بمعنى أنه يحيط به شيء أو أنها تحيط به جهة المخلوقة فهذا ممتنع كما قلنا في مسألة التحيز وبهذا يتبين أن ما يتعلل به هؤلاء النافون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم إنما هي

خيوط عنكبوت وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت وأن ما يعتصم به أهل السنة والجماعة ركنٌ شديد وحصنٌ منيع فهم اعتصموا بالنصوص فعصمهم الله تعالى منها.

لذلك تبين بطلان قول هؤلاء النفاة من المعتزلة ومن الخوارج ومن الروافض بنفي رؤية الباري والعجب لقومٍ يحرمون أنفسهم أعظم نعمة أنهم حريون أن يحرموا منه إذا كانوا ينفون عن الله عز وجل هذه الميزة التي يشتاق إليها كل مؤمن أن يرى ربه، دائماً المحبوب يتمنى رؤية حبيبه أليس كذلك؟

هذا أمرٌ مركوزٌ في الفطر ما من أحدٍ يحب أحداً إلا ويتمنى رؤيته، أنت لو قيل لك مثلاً عن عالمٍ من العلماء، وفاضلٍ من الفضلاء، شجاعٌ من الشجعان، كريمٌ من الكرماء، لوجدت في نفسك توقاً وشوقاً إلى رؤيته.

وهذا أمرٌ بين المخلوقين فكيف إذا كان رب العالمين أعظم محبوب سبحانه وبحمده من نعمه لا تنقطع وخزائنه لا تنفذ ولطفه ظاهرٌ وخفي كيف لا تألهه القلوب وتنجذب إليه وتتمنى رؤيته بل إن هذا غاية الأماني فالعجب من قومٍ يحكمون على أنفسهم بهذا الحرمان ويقولون لا يمكن أن يرى في الحقيقة حرمانٌ وخذلان وأهل السنة يشتاقون لرؤية ربهم كما قال نبينا في دعاءه (وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءه).

فإن أعظم نعيمٍ يناله أهل الجنة هو أن يتمنوا النظر إلى ربهم عز وجل ويقابل هؤلاء النفاة طائفةٌ من المخرفين كما أسلفت، وهم الذين يدعون رؤية الله يقظة ومنهم قومٌ يضعون أحاديث موضوعه يثبتون فيها رؤية الله في الدنيا وقد ورد في بعض كتب المحدثين على قانونهم أن من أسند فقد برئ أحاديث موضوعه وهيت في الأسانيد يجب أن تبرأ منها طريقة أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى يرى على صورة شابٍ جعدٍ قطط وأنه ينزل يوم عرفة ويصافح الركبان وأنه على جملٍ أورق كل هذا الغثاء والهراء الذي وضعه الوضاعون .

ومن عجب أن أعداء السنة من الروافض يقتطعون بعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في كتبه ويتهمونه بذلك، وشيخ الإسلام يسوق هذا الكلام على سبيل النكير، فيقول أحدهم في بعض المناظرات الفضائية انظروا افتحوا هذا المجلد من مجلدات الفتاوى انظر في صفحة كذا انظر ماذا يقول ابن تيمية ثم يقرأ هذه الأحاديث فيوهم السامعين بأن هذه مقالته وإنما ساق هذا على سبيل الإنكار والرد واقرأوا إن شئتم الوصية الكبرى كيف رد شيخ الإسلام هذه الأحاديث الموضوعه وصفها بالوضع وأنكرها على من رواها وفسرها دون بيان وضعها وضعفها، لكن القوم أعني الروافض هم أصحاب الكذب قديماً وحديثاً وهم أكثر أهل الأهواء كذباً كما قال الشافعي –رحمه الله– ما رأيت من أهل الأهواء أشد كذباً على رسول الله من الروافض فالكذب مهنتهم وتجارتهم وصنعتهم منذ قديم الدهر.

وكذلك أيضاً الصوفية الذين يهمهمون ويغمغمون ويعيشون في أحوالٍ شيطانية يظنونها أحوالاً إيمانية يتبدى

لهم هيئات وأحوال يتلاعب بهم الشياطين فيظنون أنهم رأوا الله أو تبدى لهم الله أو نحو ذلك، وقد قال نبينا : **(واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)**.

ثم إن الشيخ –رحمه الله– عقب على هذه المسألة العظيمة مسألة الرؤية بقوله (**ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهمٍ أو تأولها بفهم)** مراده بذلك قوله لأهل دار السلام أي الجنة، أن هذه الرؤية ليست رؤيةً يمكن تكييفها، قال: (**لا يصح لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم)** ثم علل ذلك بقوله: **(إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنىً يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم)** أي لا يحل لأحدٍ أن يأول الرؤية بتمثيلها وتكيفيها ولا أيضاً بتأويلها بمعنى تحريفها.

فلو قال قائل المراد برؤية الله رؤية أنعامه ورؤية أفضاله لكان هذا تحريفاً فاسداً؛ لأنه قال:(إنكم سترون ربكم) ولم يقل إنكم سترون نعمة ربكم أو آلاء ربكم أو فضائل ربكم، هذه دعاوى عريضة يدعيها المحرفون المأولون كما يسمون أنفسهم وهي باطلة لهذا قال: (**إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنىً يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم)**.

يعني التأويل الصحيح المقبول هو أن تترك التأويل الفاسد وتبقى على الأصل وتلزم التسليم.

فما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم فطب به نفساً وقر به عينا ولا تسلط عليه معاول التحريف التي يسموها أصحابها تأويل.

قال: (**وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه)** أرأيتم!

إذاً: هو أراد الرد على طائفتين، طائفةٍ غلت في الإثبات حتى كيفت الرؤية، وطائفةٍ غلت بالنفي حتى نفت الرؤية، لهذا قال: (**ومن لم يتوق النفي و التشبيه زل ولم يصب التنزيل)**.

فالواجب علينا فيما أضافه الله إلى نفسه من معاني الربوبية أن يثبت إثباتاً بلا تمثيل وننزه الله تعالى تنزيهاً بلا تعطيل، فإن ربنا جل وعلا موصوفٌ بصفات الوحدانية منعوتٌ بنعوت الفردانية ليس في معناه أحدٌ من البرية، ربنا سبحانه وتعالى واحدٌ في ذاته واحدٌ في أسماءه، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله، له الوحدانية {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص/٤] .

منعوتٌ بنعوت الفردانية أي أنه فردٌ سبحانه لا يشاركه أحدٌ في أي صفةٍ من صفاته فهذا المعنى يجب أن يكون راسخاً في قلب كل مؤمن وهو توحيد رب العالمين، توحيده في ذاته، وفي أسماءه، وفي صفاته، وفي أفعاله، ثم ينشأ عن هذا التوحيد العلمي التوحيد العملي فيوحده بعباداته ولا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله عز وجل،.

فلهذا كان توحيد الربوبية مستلزماً لتوحيد الألوهية لما كان سبحانه هو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لا

مثيل له ولا كفئ له ولا ند له ولا نظير كان هو المستحق للعباده وحده دون ما سواه، وعلى هذا قام سوق الإسلام وبعث أنبياء الله وأنزلت الكتب، فهذا التنازل بين التوحيدين ظاهرٌ جلي لهذا قال: (**ليس في معناه أحدٌ من البرية**).

قال رحمه الله (وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه): هذا هو منهج السلامه ومنهج العصمة أن يقبل الإنسان كل حديثٍ صحيح أتاه عن النبي ولا يستشنعه ولا يرده ولا يلوي أعناق النصوص بل يعتقده على معناه الذي خاطب به النبي أهل العربية.

فإن مسوغات قبول خبر النبي صلى الله عليه وسلم متوافرة مسوغات قبول الخبر أربعة: العلم، والصدق، والبيان، والنصح.

متى تقبل خبر كائناً من كان أن يكون عالماً بما أخبر به، صادقاً في خبره، مبيناً في تعبيره، ناصحاً لمحدثه، فإذا اجتمعت هذه الأربعة ما عاد هناك أدنى ذرة ولا موجب لأدنى تردد في قبول الخبر.

فتأمل من أعلم الناس بربه؟ نبينا صلى الله عليه وسلم، من أصدق الناس قيلا؟ نبينا صلى الله عليه وسلم، من أبين الناس حديثاً؟ نبينا صلى الله عليه وسلم، من أنصح الأمة للأمة؟ نبينا صلى الله عليه وسلم، فما دام أن هذه الأمور الأربعة مجتمعة في حق نبينا صلى الله عليه وسلم، فبأي مسوغ يتسلط هؤلاء المجترئين ويقول ما أراد كذا بل كذا، ليس مراده كذا مراده كذا، سبحان الله!

أأنتم أعلم بالله من رسول الله ؟ أأنتم أصدق قيلاً من رسول الله ؟ أأنتم أبين بياناً وأحسن حديثاً من رسول الله ؟ أأنتم أنصح في الأمة من رسول الله ؟

عجباً لكم ألا يسعكم ما وسع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم سمعوا ما أخبر به فتلقوه بالقبول ولم يشرقوا به كما شرقتم ولم يتلجلجوا أو يجمجموا عندما سمعوا هذا الكلام يأتي لقيظ بن عامر بن المنتفق ونبينا يخطب خطبةٌ يقول فيها فيما قال: ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك فيجثوا على ركبتيه فيقول: يا رسول الله أو يضحك ربنا؟ فيقول نعم، فيقول لن نعدم خيراً من ربٍ يضحك.

لم يقل كيف يضحك، ألا يلزم من الضحك أسنان ولسان ولهوات وشفتين و و و إلى آخره مما يفرضه هؤلاء المتكلمون علم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه بالحق والصدق فلم يتبادر إلى ذهنه أي معنى من معاني النقص والعيب ومماثلة المخلوقين، أقر بأصل المعنى وعلم أن الله ليس كمثله شيء ولم ينشأ عنده ما نشأ عند

هؤلاء النفاة من هذه الواردات لهذا قال: (**فهو كما قال وهو معناه على ما أراد**) وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بلسانٍ عربيٍ مبين لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، لا يجوز أن يسلط الرأي على النص فإن الآراء تتشتت الآراء كثيرة كلٌ يأتي من رأسه بصوت فتذهب وتضيع الأمور، فلا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، **فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل**، التسليم لله عز وجل بأن يسلم العبد وجهه لله وهو محسن {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: ١٢٥]، ينقاد لله عز وجل يضع نفسه في موضع التلقي والقبول عن الله والرضى بخبره لا يقول أحكم على ذلك بعقلي فإن قبله عقلي مررت وإن أباه عقلي رددت ما هذا بإيمان هذا إذعانٌ وتسليمٌ للعقل لا للرب.

قال: (**فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه**) في حال الاشتباه وهذا أمرٌ قد يقع عند بعض الناس أن يقع عندهم اشتباه و لبس في مسألة من المسائل فحين إذٍ يسلك طريقة الراسخين في العلم وهي رد المتشابه إلى المحكم وقول {يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل عمران: ٧]، ربما جرى هذا مثلاً لبعض المؤمنين في مسألة من المسائل أن أشكل عليه معنىً من المعاني التبس عليه شيء من الأشياء فحينئذ لا يجوز أن يقابله بالرد والرفض والنقد وإنما يقول آمن بالله وبما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت وسلمت.

وأسأل الله تعالى أن يفتح علي وأن يشرح صدري وهو في هذه الأثناء مجتهدٌ في طلب الحق ويعتصم بالمحكم ويكل المتشابه إلى الله سبحانه وتعالى حتى يرفع الله عنه هذا التشابه.

ولعله يأتي لهذا إن شاء الله مزيد بيان في الدرس القادم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..